

المحاضرة الأولى / الثلاثاء / 17/3/2020

الكندي فيلسوف العرب

دراسته الدالي

نسبة:

ينتسب الفيلسوف "يعقوب الكندي" إلى كندة، وكندة من بني كهلان وبلادهم اليمن، وفي كتاب الأغاني فإن كندا كانوا ملوكاً. وفي كتاب المعارف لابن قتيبة عند الكلام على أديان الجاهلية: "كانت اليهودية في حمير، وبني كنانة، وبني الحارث بن كعب، وكندة". وكما كان لكندا مجدها في الجاهلية، بقي لكندة مجدها، وبقي للكندي الذي ينتسب لهذه القبيلة مجده وحسبه في الإسلام.

الكندي هو: أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن الأشعث بن قيس. وبحسب عبد الرحمن بدوي في موسوعته "ويلد لأصحاب السير أن يذكروا نسبه الطويل حتى يصل إلى يعرب بن قحطان، وربما كان ذلك ليؤكدوا أنه من أصل عربي"، كان والده اسحق بن الصباح أميراً على (الكوفة) في أيام الخليفة المهدي، 158 هـ، ثم هارون الرشيد 170 هـ. وفي كتب رجال الحديث أن اسحق بن الصباح عاش في المائة الثانية من الهجرة. فكان أول عهد اسحق بن الصباح بالولايات والحكم في سنة 159 هـ في عهد الخليفة المهدي الواقع بين 158-169. وتوفي في آخر عهد هارون الرشيد.

ميلاده:

لا نعرف تاريخ ميلاده على التحديد، فيقول ابن جليل أنه ولد حوالي سنة 180 هـ في البصرة وكان لو والده ضياع، أو في الكوفة، كما يقول ابن نباتة في كتابه سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، والراجح عند المستشرق "دي. بور" أن ميلاد الكندي كان في أواخر حياة أبيه في زمن الرشيد.

عقيدته:

اختلف في عقيدة الكندي، يروي البيهقي في كتابه تاريخ حكماء الإسلام عن الكندي "اختلفوا في ملته فقال قوم كان يهودياً فأسلم، وقال بعضهم كان نصرانياً".

والشهرزوري في كتابه نزهة الأرواح: "كان يهودياً ثم أسلم، وقيل كان نصرانياً".

وفاته:

اختلفت الآراء حول سبب وفاة الكندي وكذلك تاريخ وفاته:

الرأي الأول: جاء في أخبار الحكماء "قال أبو معشر وكانت علة يعقوب بن اسحق الكندي أنه كان في ركبته خام، كان يشرب له الشراب العتيق فيصلح، فتأب وشرب له شراب العسل فلم تتفتح له أفواه العروق، ولم يصل إلى أعماق البدن وأسافله شيء من حرارته فقوي الخام فأوجع العصب وجعاً شديداً حتى تأتى ذلك الوجع إلى الرأس والدماغ، فمات الرجل لأن الأعصاب أصلها من الدماغ.

أما تاريخ وفاته فلم يعرض له أحد ممن ترجموا له من الأقدمين، ولكن المحدثون حاولوا معرفة ذلك على سبيل الاستنباط فمنهم:

- 1- ماسينون في نصوصه رجح وفاته 246 هـ.
- 2- نالينو في محاضراته في الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى، رجح وفاته في 260 هـ.
- 3- دي بور في دائرة المعارف الإسلامية، رجح أن الكندي كان يعيش سنة 257 هـ، حيث تنبأ للخلافة العباسية وهي مهددة بالقرامطة بقاء يدوم 450 عام، وفي الفهرست لابن النديم ما يثبت أن الكندي نسخ كتاباً بخطه عام 249 هـ. وفي تاريخ الطبري عند موت المنتصر بالله سنة 248 هـ والتشاور في تعيين خلفه أن محمد بن موسى المنجم سعى في دفع الخلافة عن أحمد بن المعتصم لأنه صاحب الكندي الفيلسوف. والجاحظ المتوفي 255 هـ يذكر الكندي في كتابيه الحيوان والبخلاء في صيغة الماضي التي تدل على أن الكندي كان ميتاً حين كتب كتابه وعلى الراجح أن البخلاء مؤلف سنة 254 هـ، وكتاب الحيوان أسبق. وإذا صح ذلك فإن الكندي لم يكن حياً سنة 254 هـ ولا سنة 253 هـ.
- 4- أما رسالة الكندي في "ملك العرب وكميته" تدل على أنه شهد الخليفة المستعين، وشهد الفتنة التي قتل في أعقابها المستعين آخر رمضان سنة 252.

ويرجح هنري كوربان أن الكندي توفي وحيداً في بغداد في نفس السنة التي قتل فيها الإمام العسكري.

الرأي الثاني: يسند هذا الرأي إلى نص كتبه الكندي يدل على أنه كان على صلة بالإمام العسكري وهو الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية يقول الكندي: "كتبت إلى أبي محمد (ع) أسأله كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه فوق (ع) يا أبا يوسف جل سيدي ومولاي، والمنعم

علي وعلى آبائي أن يرى". لكن لا توجد نصوص تؤكد لقائه بالامام الهادي أو الإمام العسكري. لكن الكندي كان مدة في سامراء لأنه كان خطاط المتوكل الخاص كما جاء في الموسوعة الحرة وكان مقرباً من المستعين. اضطهد الكندي من قبل المتوكل سنة 242 هـ أي في إمامة الإمام الهادي. اضطهد الكندي من قبل المعتمد في إمامة الإمام العسكري. وبحسب روايات ابن طاووس، وأحمد بن النظيم السرخسي أن الكندي قال: "لا يفلح الناس وعين تطرف رأيت المتوكل" وأنه اتهم بالتشيع، وكان منسوباً إلى الزيدية (زيد بن علي بن الحسين). وكان هذا سبباً في ترجيح وفاة الكندي قتلاً وإن لم يثبت ذلك بالأدلة. ويرجح هنري كوربان أن الكندي توفي وحيداً في بغداد في نفس السنة التي قتل فيها الإمام العسكري.

عدد مؤلفاته:

اختلف في عدد مؤلفات الكندي، فقد ألف الكندي عدداً هائلاً من الرسائل في مختلف فروع علوم الأوائل: الفلسفة، علم النفس، الطب، الموسيقى، التنجيم الجدل الديني والسياسة، والفلك. وعند القفطي 228 كتاب، وعند ابن أبي أصيبعة 281 كتاب.

أما ابن النديم الذي وصف الكندي بأنه "فاضل دهره، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها، ويسمى فيلسوف العرب". فقد أورد ثبناً بأسماء مؤلفات الكندي ويشتمل على 241 كتاب وهي:

- الكتب الفلسفية (كتاب الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات) - المنطقية (رسائله في المدخل المنطقي واستيفاء القول فيه) - الحسابيات (رسائله في المدخل إلى الأرثماطقي) - الكريات (رسائله في أن العالم وكلما فيه كروي الشكل) - الموسيقىات (رسائله الكبرى في التأليف) - النجوميات (رسائله في أن رؤية الهلال لا تضبط بالحقيقة) - الهندسيات (رسائله في أغراض كتاب اقليدس) الفلكيات (كتاب في امتناع وجود مساحة الفلك الأقصى المدبر للأفلاك) - الطبيات (رسائله في الطب البقراطي) - الاحكاميات (تقدمة المعرفة بالاستدلال بالأشخاص العالية على المسائل) - الجدليات - النفسيات (رسائله في أن النفس جوهر بسيط غير دائر) - السياسيات - الأحداثيات (رسائله في الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة) - الأبعاديات (رسائله في أبعاد مسافات الأقاليم) - النقدميات (رسائله في أسرار تقدمية المعرفة) - الأنواعيات (رسائله في أنواع الجواهر الثمينة).

- وله رسالة بسبب زرقة السماء وبحسب دائرة المعارف الإسلامية: إن هذه الرسالة ترجمت إلى اللاتينية، وهي تبين أن اللون الأزرق لا يختص بالسماء، بل هو مزيج من سواد السماء والأضواء الأخرى الناتجة عن ذرات الغبار.

- أخرج الكندي رسائل قيمة في البصريات والمرئيات، وهو يلي كتاب الحسن ابن الهيثم مادة وقيمة، انتشر هذا الكتاب في الشرق والغرب، وكان له تأثير كبير على العقل الأوروبي، تأثر به باكون، وواتيلو.

وروي عن الشهرزوري أن "الكندي كان مهندساً، خائضاً في غمرات العلم" كما كان الكندي مولعاً بالرياضيات واعتبرها شرط تعلم الفلسفة، كما لعب دوراً في إدخال الأرقام الهندية إلى العالم الإسلامي والمسيحي، ووضع مقياساً يسمح للأطباء بقياس فاعلية الدواء، كما أجرى تجارب حول العلاج بالموسيقى، وله أكثر من ثلاثين أطروحة في الطب، وأهم أعماله في هذا المجال هو كتاب "رسالة في قدر منفعة صناعة الطب" أوضح فيه كيفية استخدام الرياضيات في الطب، لاسيما في مجال الصيدلة.

رجح نظرية اقليدس وتوصل إلى أن كل شيء في العالم تتبعث منه أشعة في كل اتجاه وهي التي تملأ العالم كله، اعتمده ابن الهيثم، وروجر بيكون الراهب والعالم الإنجليزي الذي قال: "الكندي والحسن ابن الهيثم في الصف الأول مع بطليموس. أول من وضع رسالة في علم التعمية تحليل الشيفرات. كما عني بالكيمياء وله رسالة في "إبطال دعوى المدعين صناعة الذهب والفضة من غير معادنها".

كان الكندي أول من وضع قواعد للموسيقى في العالم العربي الإسلامي، فاقترح إضافة الوتر الخامس إلى العود، ووضع سلماً موسيقياً من اثنتي عشرة نغمة مازال يستخدم في الموسيقى العربية. كما أدرك التأثير العلاجي للموسيقى. وحاول علاج طفل مشلول شللاً رباعياً بالموسيقى.

تلامذة الكندي:

بذل الكندي جهده للإعلاء من شأن الفلسفة والترغيب بها والحض على تعلمها، وتابعه تلاميذه ووراقوه وهم: حسنويه، ونفطويه، وسلمويه، أحمد بن الطيب، وأبو معشر لم يعرف عددهم على استقصاء، كما غابت أسماء من تلقى عنهم العلم.

وكان من أشهرهم: أحمد بن الطيب السرخسي (نسبة إلى سرخس في خراسان ولد في حدود 218 وتوفي 286 يعود له الفضل في استقصاء الألفاظ التي تصلح لتسمية "أتباع زينون" تسمية عربية. فقد سمي أتباع زينون تارة "أصحاب الرواق" أو الرواقيون، وكلمة الرواق تعني في العربية الممشى أو الدهليز، وتارة أصحاب الاسطوان" وكلمة اسطوان لها نفس المدلول، وتارة "أصحاب المظال" وهي جمع مظلة أو الخيمة أو السرادق، ومن هنا جاءت في ترجمات العصر الوسيط "فلسفة المظال". وقد فصل أبو الطيب هذه التسميات فذهب إلى أن

كل واحدة منها تدل على مدرسة بذاتها: المدرسة الأولى نشرت مذهبها في الاسكندرية، والثانية في بعلبك، والثالثة في انطاكية.

1- **أبو معشر البلخي:** توفي عام 272، يقول عنه ابن النديم أنه كان من أصحاب الحديث، وكان يضاغن الكندي ويغري به العامة، و يشنع عليه بعلوم الفلاسفة، ففس عليه الكندي من يحسن له النظر في علوم الحساب والهندسة، فدخل في ذلك فلم يكمل له، فعدل إلى علم أحكام النجوم وانقطع شره عند الكندي". ويذكر له ابن النديم 33 كتاب جلها في علم الفلك.

2- **أبو زيد البلخي:** هو أحمد بن سهل كان فاضلاً في سائر العلوم القديمة والحديثة، تلا في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الفلاسفة إلا أنه بأهل الأدب أشبه وإليه أقرب. ويذكر ابن النديم له أسماء سبعة وثلاثين كتاباً في الأدب والفلسفة والفلك.

نشأة الكندي:

بحسب ترجيح دي.بور في ميلاد الكندي في أواخر حياة أبيه، فإن أبوه تركه طفلاً وترك له ثروة من المجد والمال، فنشأ في الكوفة يتيماً، ترعاه والدته التي كانت قد وجهته إلى طريق العلم والحكمة، وكانت بدايته مع علوم الأحكام الدينية التي كانت سائدة في عصره، وتكسب صاحبها كرامة عند الخلفاء، وجلالة عند العامة. في حين كانت علوم الكلام مذمومة ومنكرة عند أهل الزعامات الدينية، مع أنها حظيت بتشجيع الخلفاء، أما الفلسفة في حينه فكانت تعتبر من العلوم الدخيلة، والتي لا يوثق برأي أصحابها.

فبدأ الكندي بالعلوم الدينية وأخذ منها، وتعلم علوم اللغة والأدب، وشارك المتكلمين في مباحثهم، وكانت له علاقة وثيقة بالمعتزلة الذين كانت لهم حظوة ومنزلة في البلاط العباسي قبل خلافة المتوكل، لكنه لم يشتغل في علم الكلام، كما لم يكن واحداً من المعتزلة، فاقترح غمار الفلسفة وما إليها من العلوم المنقولة من اليونان والهند وفارس، وغشي أوساط المترجمين من اليونانية، والسريانية، إلى العربية. وعمل بالترجمة وإصلاح الترجمات، فكان عارفاً بالسريانية، وينقل الكتب منها إلى العربية، وفي أخبار العلماء بأخبار الحكماء يقول: ومما اشتهر من كتب بطليموس وخرج إلى العربية كتاب الجغرافيا في المعمور من الأرض" وهذا الكتاب نقله الكندي نقلاً جيداً ويوجد سريانياً". وقد اختلف إذا ما كان الكندي عارفاً باليونانية أم لا.

وفي كتاب طبقات الأطباء يقول: "حذاق الترجمة في الإسلام أربعة: حنين ابن اسحق، ويعقوب ابن اسحق الكندي، وثابت بن قره الحراني، وعمر بن الفرخان الطبري" وحنين بن اسحق هو تلميذ يحيى بن ماسويه الذي ائتمنه المأمون على بيت الحكمة في بغداد 243

للهجرة. وحنين ابن اسحق (المولود في الحيرة من عائلة ترجع بنسبها إلى القبيلة العربية المسيحية عباد،) وكان أشهر مترجم للمؤلفات اليونانية إلى السريانية والعربية، وأيضاً يحيى ابن البطريق، وأما عبد المسيح بن ناعمة الحمصي قد كان مساعداً للفيلسوف الكندي، حيث ترجم الحمصي سوفسطيقاوفيزيقا أرسطو، والكتاب الشهير (الربوبية) أو أثولوجيا، المنسوب خطأ إلى أرسطو طاليس، وهو ليس سوى شرح لآخر ثلاث من تاسوعات أفلوطين، هذا الكتاب الذي قام بإصلاحه الكندي لأحمد ابن الخليفة المعتصم، والذي كان له الأثر الكبير في الفكر الفلسفي الإسلامي عامة وعلى فكر الكندي، كما كان أيضاً لكتاب شرح الافروديسي لكتاب أرسطو في النفس أثراً على الكندي في تقسيمه للعقل إلى أربعة أقسام في رسالة له "في العقل".

أسلوب الكندي:

اتفق على أن أسلوب الكندي غامض، وتعددت الآراء في سبب هذا الغموض منها:

- 1- أن الألفاظ الاصطلاحية الفلسفية لم تكن قد استقرت وتحددت معانيها. مثال على ذلك ما جاء في كتاب الربوبية "علل العالم القديمة البادية أربعة وهي الهولوى، الصورة، العلة الفاعلة، والتمام" فمصطلح التمام المقصود منه (العلة الغائية). أيضاً استعماله لكلمة "مبسوط" بمعنى "بسيط". "ما الذي يمنع النفس إذا كانت في العالم الأعلى من أن تعلم الشيء المعلوم دفعة واحدة، واحداً كان المعلوم أو كثير، لا يمنعها شيء عن ذلك البتة مبسوط ذات علم مبسوط، فعلم الشيء الواحد مبسوطاً كان أم مركباً دفعة واحدة". فكلمة بسيط تعني غير مركب أي أن النفس مجردة.
- 2- عدم وضوح المعنى في ذاته وهذا ما أشار إليه جلسون في كلامه عن نظرية العقل عند الكندي فيقول "المعاني ضعيفة كأن الكندي كان يكابد في امتلاك ناصيتها بعناد".
- 3- الأصول التي كان يرجع إليها الكندي المترجمة إلى العربية أو غيرها، أو الموجودة في لغاتها الأصلية لم تكن تخلو من تحريف ومن غموض، فكان طبيعياً أن يعاني الكندي في استخلاص المعاني المنتظمة في العقل.
- 4- أن اللغة العربية لم تكن بعد قد ذلت وطوعت للأبحاث العلمية، والتعبير عن المعاني والآراء والأدلة العقلية بتعبير عبد الهادي أبو ريدة. إلا أن تقدم جابر ابن حيان في وضع المصطلح الفلسفي ينفي هذا القول بحسب ما ذهب إليه عبد الأمير الأعسم.

مذهبه الفلسفي:

اختلف في مذهب الكندي: يقول بعض مترجمي الكندي كابن نباتة المصري، وابن أبي أصيبعة "أنه هذا حذو أرسطو طاليس". والكندي في رسالته الأولى يعلي من شأن أرسطو،

وقد ألف رسالة في كمية كتب أرسطو طاليس، وفرض على طالب الفلسفة أن يتعلمها فيقول: "فكتب أرسطو المرتبة التي يحتاج المتعلم إلى استطرادها على الولاء، على ترتيبها ونظمها، ليكون بها فيلسوفاً، بعد علم الرياضيات هي أربعة أنواع من الكتب:

- 1- المنطقيات. وهي ثمانية كتب.
- 2- الطبيعيات. وهي سبعة كتب.
- 3- تقال على الأشياء التي لا تحتاج إلى الأجسام في قوامها وثباتها، وقد توجد مع الأجسام، فهي أربعة كتب: النفس- الحس والمحسوس- وكتاب النوم واليقظة- الكتاب المسمى طول العمر وقصره.
- 4- ما قال فيه على ما لا يحتاج إلى الأجسام، ولا يتصل بالأجسام فكتاب واحد وهو كتابه الموسوم بما بعد الطبيعة. ومن ثم كتبه في الأخلاق ككتاب "نيقوماخوس".
- 5- هذه الكتب التي يحتاج إليها الفيلسوف التام، ولكن بعد علم الرياضيات والتي هي: العدد- الهندسة- التنجيم- التأليف. **فلا يستتم للفيلسوف معرفة شيء إن هو عدم علم الرياضيات.**

في حين نجد الشهرزوري يورد للكندي أقوالاً كلها بسط لآراء أفلاطون، وخاصة ما يتعلق منها بموضوع النفس وتجردها، حتى أن الكندي يتبنى هذا الرأي الأفلاطوني في النفس في رسالته (القول في النفس المختصر من كتاب أرسطو وأفلاطون وسائر الفلاسفة). عندما يذكر قول أفلاطون بتجرد النفس، وانكشاف عالم الغيب لها يقول: **لقد صدق أفلاطون في هذا القياس وأصاب به البرهان الصحيح.**

والناظر في رسائل الكندي يجد أن: الكندي قد بنى مذهبه على ما صح في نظره من الآراء المختلفة، وقد أشار في رسالته "في الفلسفة الأولى" إلى منهجه في الرسائل:

بعد أن قدم الشكر للسابقين والمتفلسفين من غير العرب، لشعوره بالنسب العالي الذي يربط أهل الحق، مؤكداً أن المعرفة تراكمية، إذ لا يمكن لإنسان واحد أن يبلغ الحق في مدة حياته بمفرده، فقال "كانوا لنا أنساباً وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم، التي صارت لنا سبلاً وآلات، مؤدية إلى علم كثير مما قصرنا عن نيل حقيقته". فالكندي يبدأ من حيث انتهى القدماء في علمهم. ثم يذكر أقوالهم كاملة، ويكمل النقص الذي لم يبلغوه، ويحل المسائل المعقدة، ويبسط الآراء، خشية أن يسيء تأويل كلامه بعض المتسمين بالعلم في عصره.

بنى الكندي مذهبه على ما صح في نظره من الآراء المختلفة، ولم يتقيد برأي أفلاطون وجوهر فلسفته أن المثل أصلاً للموجودات، ولا برأي أرسطو الذي يقول بقدم العالم، ولا بالواحد الأفلوطيني الذي يفيض عنه الوجود، ويبقى هذا الواحد متعال عن الموجودات يتأمل

ذاته. وإنما بقي الكندي متأثراً بالفكرة الدينية، أن الله لم يكن له معين على ما خلق، ولم يخلق على مثال سابق، وإنما الخلق ابداع من العدم إلى الوجود ضربة واحدة، والعدم عنده هو اللاشيء، وأن الله هو الواحد بالوحدة المطلقة، وقد وصف دي.بور منهج الكندي بقوله: "كان الكندي من أهل الترجيح والتخير".